جواب سؤال يتعلّق بما ورد فيما أظهر الخضر

تأليف

الإمام العلّامة محمّد بن علي الشّوكاني

المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

اعتنى به وخرّج أحاديثه

أحمد فريد المزيدي



أشكل عَلَى السائل -أَلْهَمَهُ الله حقيقة الأمر إن شاء الله- وجه الاختلاف فِي إسناد «الإرادة» فِي قوله مَعَ حكايته عن الخضر عليه السلام حيث أسند له فِي بيان خرق السفينة إلى نفسه منفردًا فقال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾. وفي بيان قتل الغلام، إلى نفسه بصفة التعظيم والجماعة فقال: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

وفي بيان إقامة الجدار، إلى لفظ «رب» فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٧٩- ٨٢].

هذا، والمطلوب مِن شيخ الإسلام، المتحف بالشريف السلام —سلمه الله- إفادة السائل بالجواب. فالمقصد الفائدة وطلب الثواب، ومن الله التوفيق، ومنه الوصول إلى غاية التحقيق، وصلى الله عَلَى سيدنا مُحَمَّد وآله.

الحمد الله، الجواب:

اعلم أنه قد وجد فِي الخضر رضي الله عنه المقتضى للمجيء بنون العظمة، لما تفضل الله به عليه مِن العطايا العظيمة، والمواهب الجسيمة التي مِن جملتها العلم الذي فضله الله به حتى أخبر موسى عليه السلام لما سأله: **هل فِي الأرض أعلم منه؟**

فقال: عبدنا خضر، كما هو ثابت فِي الصحيح. كَانَ هذا وجهًا صبيحًا، ومسوغًا صحيحًا للمجيء بنون العظمة تارة وعدم المجيء بِهَا أخرى. فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾. وقال: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ ملاحظًا فِي أحد الموضعين لما يستحقه مِن التعظيم، تحدثا بنعم الله سبحانه عليه. وفي الموضع الآخر قاصدًا للتواضع، وأنه فرد مِن أفراد البشر، غير ناظر إلى تلك المزايا التي اختصه الله سبحانه بِهَا، مَعَ كون ذلك هو الصيغة التي هي الأصل فِي تكلم الفرد.

ومع هذا. ففي تلوين العبارة نوع مِن الحس الآخر. وهو الافتنان فِي الكلام، فإنه أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا كما قيل فِي نكتة الالتفات.

ويمكن أن يقال: إنّ خرق السفينة، لما كَانَ باعتبار تحصيل مسماه أمرًا يسيرًا، فإنه يحصل بنزع لوح مِن ألواحها، قَالَ: ﴿**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾.

ولما كَانَ القتل مِمَّا تتعاظمه النفوس، ويدخل فاعله الروعة العظيمة، نزل منزلة ما لا يقدر عليه إلا جماعة. ويمكن أيضًا وجه ثالث، وهو أن يقال: لما كَانَ خرق السفينة مما يمكن تداركه، بأن يرد اللوح الذي نزعه كَانَ ذلك وجهًا للإفراد، ولأنه يسير بالنسبة إلا ما يمكن تداركه، وهو القتل.

وأما قوله: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ**﴾ فوجه نسبة الإرادة إلى رب سبحانه، أن هذه الإرادة وقعت عَلَى قوله: ﴿**أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا**﴾ [الكهف: ٨٢] ومعلوم أن ذلك لا يكون مِن فعل البشر، ولا بإرادته، لأن بقاءهما فِي الحياة حتى يبلغا الأشد لا يدخل تحت طاقة البشر، ولا يصح نسبته إلى غير الرب ﷻ.

ولهذا يقول الخضر ﷺ: ﴿**رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: ٨٢].

هذا ما خطر بالبال عَلَى هذا السؤال. ولم أقف عَلَى كلام لأحد مِن هذا التفسير فيما يتعلق بذلك، ولا أمكن البحث لكتب التفسير.

وفي هذه القصة شيء آخر، يحسن السؤال عنه، وهو أنه قَالَ بعد خرق السفينة: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف: ٧٢]، وقال بعد قتل الغلام: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ**﴾ [الكهف: ٧٥]، فزاد لفظ «لك» فِي الموضوع الآخر دون الموضوع الأول.

ويُجاب عنه بما ذكرته فِي تفسيري مِن أن سبب العتاب فِي الموضوع الآخر، لما كَانَ أظهر، وموجبه أقوى، كَانَ وجهًا للزيادة. وقيل: زاد لفظ «لك» لتفيد التأكيد كما تقول لمن توبخه: لك أقول وإياك أعني، والله أعلم[١].

انتهى لفظ الجواب مِن خط شيخ الإسلام وبغية علماء الأنام مُحَمَّد بن عَلي الشوكاني، سلمه الله.

---

(١) انظر: البخاري (١٧٥٣/٤، ١٧٥٥)، وتفسير البيضاوي (٥١١/٣)، والقرطبي (١٧/١١، ٢٠)، وابن كثير (٩٤/٣، ٩٥)، والطبري (٢٧٧/١٥، ٢٨٣)، والدر المنثور للسيوطي (٤١٠/٥، ٤٣١)، وتفسير الثعالبي (٣٩٠/٢)، وأبي السعود (٢٣٤/٥، ٢٣٨)، والوسيط للواحدي (٦٦٨/٢)، وتفسير البغوي (١٧٠/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٦٢/٥، ١٧٠)، وروح المعاني للآلوسي (٣٣٣/١٥، ٣٣٧)، (٢٢/١٦).